نظمت جمعية الذاكرة المتوسطية، بتعاون مع مركز الأرشيف الفرنسي ندوة حول الذاكرة الأدبية المغاربية في موضوع «ازدواجية اللغة في الإبداع المغاربي، أو لنتعلم كلام الآخر داخل مجال الإبداع»، حيث تناول المشاركون الإرث الأدبي المغاربي في مختلف أجناسه. إذ رامت الندوة نفض الغبار عن هذا الإرث المنسي، وإبراز خصوصياته الأدبية في شقيه الفرنكفوني والعربي، محاولة استجلاء الصور، التي التقطها هذا الأدب، حول تعقيدات العوالم المغاربية...

ندوة باريس تستعرض هيمنة السوق وتوحش العولمة

الكتابة المغاربية.. بين سلطة المرجعيات والانفتاح على التأثيرات العالمية

■ باريس- أحمد الميداوي ■

النبش في الذاكرة الأدبية المغاربية بمنظور يستنطق الماضي كنقطة مرجعية ضرورية للتعامل مع الحاضر، هو شرط أساسي لتفعيل التلاقح والانصهار بين النتاجات القديمة والحديثة، وهو ما كرسته الندوة الأدبية حول «ازدواجية اللغة في الإبداع المغاربي، أو لنتعلم كلام الآخر داخل مجال الإبداع..»، التي نظمتها أول أمس بباريس جمعية الذاكرة المتوسطية بتعاون مع مركز الأرشيف الفرنسي.

وإذا كانت الكتابات المغاربية في جوانبها الإبداعية والنقدية (رواية- قصة- مسرح- شعر..) مرت في مسارها الأدبي بالمراحل نفسها التي شهدتها الكتابة العربية المشرقية، وأثبتت قدرتها على التفاعل معها تأثرا وتأثيرا، فإن جانبا من هذه الكتابة التي اعتمدت الفرنسية لغة للتواصل، تمكنت بفعل الواقع التراكمي المغاير، من التحرر من سلطة المرجعيات العربية وممارسة فعل التغيير في النسق الكتابي شكلا ومضمونا.

وبقدر ما سعت الندوة إلى نفض غبار الإهمال عن بعض الكتابات المنسية أو المجهولة بسبب الحيف النقدي أو ضعف الدعاية الإعلامية، فإنها عملت أيضا على

إبراهيم الكوني

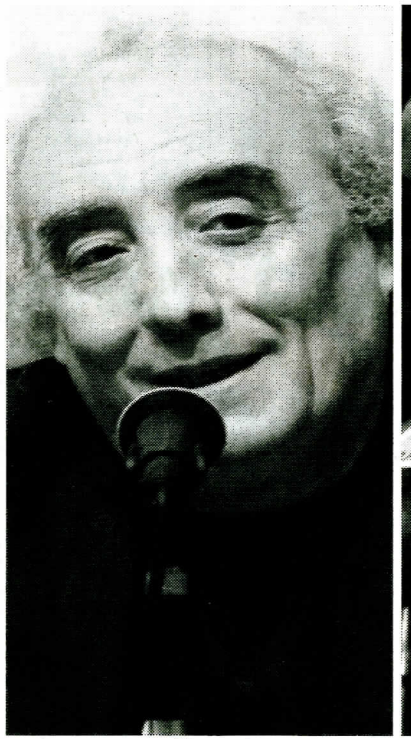

واسيني الأعرج

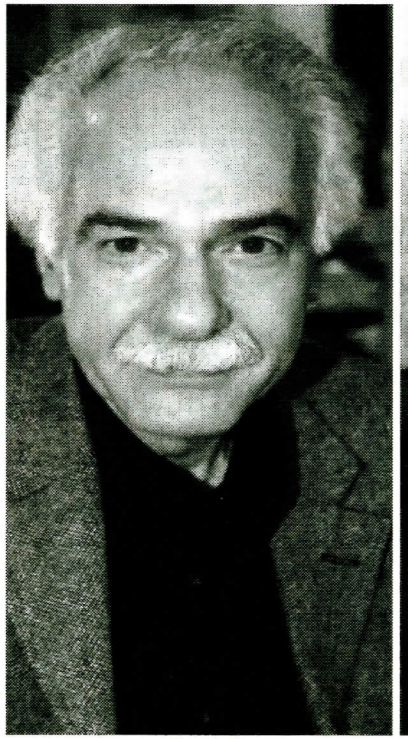

عبد اللطيف اللعبي

إبراز خصوبة الإرث الأدبي المغاربي بشقيه الفرنكفوني والعربي وقدرته على التقاط تعقيدات العالم الغربي ومفارقاته بلغة أكسبته نقطة ارتكاز قوية لدى النقاد والمهتمين، وأهلته لمواجهة ما اصطلح على تسميته ب«العولمة الثقافية».

ورصد الناقد المغربي سعيد المنتاوي، أستاذ مادة اللسانيات بجامعة السربون بباريس، هذا الواقع فيما قدمه من نماذج أدبية تعكس تموضع الأدب المغاربي بين فضاءين إبداعيين متباينين.. عربي ينطلق من الموروث في محاولة لاستكشافه وإعادة تركيبه، وفرنسي يميل إلى استيفاء دلالات العولمة الثقافية من خلال الكتابة التنافرية والاستعارية التي تميز النمط الغربي.

وفي سياق هذا التباين، استعرض الأديب التونسي توفيق باجين (ناقد روائي)، مقومات الكتابة المغاربية من خلال ثلاثة محاور.. الأول مرتبط بالموقع الجغرافي للمغرب العربي كملتقى لحضارات وثقافات مختلفة، وكمحطة فاصلة بين العديد من تيارات الفكر والأدب.

ويختزل هذا المحور تنوع الكتابة المغاربية بما عرضه المحاضر من مرجعيات غزيرة ومتنوعة للنتاجات الأدبية بازدواج لغتها، بالإضافة إلى الأعمال المترجمة من وإلى اللغتين العربية والفرنسية.

وفيما تناول في المحور الثاني الحركة الأدبية المغاربية في عهد الاستعمار وإسهامات المستشرقين في هذا المجال، ركز في المحور الأخير على النتاج الشعري باللغتين، و على الإسهامات المغاربية، وإن كانت متواضعة، في تحرير الشعر العربي من قيود التقليد وفتحه على التأثيرات العالمية.

وأجمع المتدخلون، ضمن هذا المحور، على أن الشعر أيا كان اللباس الذي يرتديه، فهو ذو جسد واحد، وأن القصائد التي يصنعها الإنسان في الشرق أو الغرب هي مسكونة بالرغبة ذاتها في إنعاش التبادل الخصب بين الشعوب.

تلك هي الحقيقة التي أجلتها الندوة، والتي ردد صداها النداء الذي أطلقه الشاعر الفرنسي «إيف بونفوا»: «فلنتعلم كلام الآخر داخل مجال الإبداع كما في الحياة. وحينذاك ستأتي الأرض لتكون صورة باهرة وكثيفة، لأنها بالضبط تشكل مكانا مشتركا».

وقد شددت الندوة على الدور الريادي للكتابة الأدبية في مد جسور التبادل والتشارك بين الشرق والغرب، كما استعرضت الواقع الراهن المتميز بهيمنة السوق وتوحش العولمة.. واقع يفترس كل يوم الإبداع في كل صوره وأشكاله ولغاته، ويقتضي من رجالات الأدب تصريف هذه الضرورة الملحة للحوار والتبادل في قالب إبداعي بصيغة الجمع. ذلك أن «كل واحد منا، كما قال الأديب الفرنسي «إدوارد جاكالي»، ليس واحدا، بل هو كثير متعدد مع كثير متعدد، وأن الأدب باعتباره حوارا بين اللغة والواقع لا يمكن أن يكون كلمة بالمفرد، بل هو اسم وضمير يلغي المسافة الفاصلة والحدود المرسومة».

وقد تخللت الندوة قراءات مشهدية وتأليفات موسيقية أدتها فرقة «الأدوار» المصرية التي قدمت أعمالا إبداعية متميزة بآلات موسيقية تقليدية تعرف باسم «التخت الشرقي» بعنوان «سكرات» تناولت الوجه الرمزي للخمر في الشعر الصوفي العربي.